

تفسير ابن كثير

يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الانات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل [أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله وأمره أعلم قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ثم قال : أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم] ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فإن الله سبحانه جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين كقوله { أن اشكر لي ولوالديك } وكقوله { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً } ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القربات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث [الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة] ثم قال تعالى : { واليتامى } وذلك لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم ثم قال { والمساكين } وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم وسياًتي الكلام على الفقير والمكسين في سورة براءة وقوله { والجار ذي القربى } والجار الذي بينك وبينه قرابة { والجار الجنب } الذي ليس بينك وبينه قرابة وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وقال أبو إسحاق عن نواف البكالي في قوله : والجار ذي القربى : يعني الجار المسلم والجار الجنب يعني اليهودي والنصراني رواه ابن جرير وابن أبي جاتم وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود : والجار ذي القربى يعني المرأة وقال مجاهد أيضاً في قوله : والجار الجنب يعني الرفيق في السفر وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد بن زيد أنه سمع أباة محمداً يحدث عن عبد الله بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] أخرجاه في الصحيحين من حديث عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر به .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن داود بن شاور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] وروى أبو داود والترمذي نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشير أبي إسماعيل

زاد الترمذي : وداود بن شابور كلاهما عن مجاهد به ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا

الوجه وقد روى عن مجاهد عائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(والحديث الثالث) قال أحمد أيضا : حدثنا عبد الله بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره] ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به وقال حسن غريب .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاعه عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يشبع الرجل دون جاره] تفرد به أحمد .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعد الأنصاري سمعت أبا ظبية الكلاعي سمعت المقداد بن الأسود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه [ما تقولون في الزنا ؟] قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره] قال [ما تقولون في السرقة ؟] قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام قال [لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره] تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود : قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : [أن تجعل الله ندا وهو خلقك] قلت : ثم أي ؟ قال : [أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك] قلت ثم أي ؟ قال [أن تزاني حليلة جارك] .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالية عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فطننت أن لهما حاجة قال الأنصاري : لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرثي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت : يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام قال : [ولقد رأيته ؟] قلت : نعم قال [أتدري من هو ؟] قلت : لا قال [ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى طننت أنه سيورثه] ثم قال [أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام] .

(الحديث السابع) قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو بكر يعني المدني عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلى على الجنائز فلما انصرف قال الرجل : يا رسول الله من هذا الرجل الذي رأيت معك ؟ قال [وقد رأيته ؟] قال : نعم قال [لقد رأيت خيرا كثيرا هذا

جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى رأيت أنه سيورثه [تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله .

(الحديث الثامن) قال أبو بكر البزار : حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع الحارثي حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم] قال البزار : لا نعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فديك .

(الحديث التاسع) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران عن طلحة بن عبد الله عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن لي جارين فألى أيهما أهدي ؟ قال [إلى أقربهما منك بابا] ورواه البخاري من حديث شعبة به .

(الحديث العاشر) روى الطبراني وأبو نعيم عن عبد الرحمن فزاد : قال : إن رسول الله A توسأ فجعل الناس يتمسحون بوضوئه فقال [ما يحملكم على ذلك] ؟ قالوا : حب الله ورسوله قال [من سره أن يحب الله ورسوله فليصدق الحديث إذا حدث وليؤد الأمانة إذا ائتمن] .

(الحديث الحادي عشر) قال أحمد : حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة قال : قال رسول الله A [إن أول خصمين يوم القيامة جاران] وقوله تعالى : { والصاحب بالجنب } قال الثوري عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قالا : هي المرأة وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وإبراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في إحدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة : هو الرفيق في السفر وقال سعيد بن جبير : هو الرفيق الصالح وقال زيد بن أسلم : هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر وأما ابن السبيل فعن ابن عباس وجماعة : هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل : هو الذي يمر عليك مجتازا في السفر وهذا أظهر وإن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة وبالله الثقة وعليه التكلان وقوله تعالى : { وما ملكت أيمانكم } وصية بالأرقاء لأن الرفيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس فلهذا ثبت أن رسول الله A جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول [الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه] وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله A [ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة] ورواه النسائي من حديث

بقية وإسناده صحيح و الحمد .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له : هل أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال : لا قال : فانطلق فأعطهم فإن رسول الله ﷺ قال : [كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم] رواه مسلم وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق] رواه مسلم أيضا وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناول له لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه] أخرجه ولفظه للبخاري ولمسلم [فليقعده معه فليأكل فإن كان الطعام مشفوها قليلا فليضع في يده أكلة أو أكلتين] وعن أبي ذر B عن النبي ﷺ قال [هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم] أخرجه وقوله تعالى : { إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا } أي مختالا في نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو في نفسه كبير وهو عند الله حقير وعند الناس بغيض قال مجاهد في قوله { إن الله لا يحب من كان مختالا } يعني متكبرا { فخورا } يعني يعد ما أعطى وهو لا يشكر الله تعالى يعني يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه وهو قليل الشكر ﷻ على ذلك وقال ابن جرير : حدثني القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهروي قال : لا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا وتلا { وما ملكت أيمانكم } الآية ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا وتلا { وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا } وروى ابن أبي حاتم عن العوام بن حوشب مثله في المختال الفخور وقال : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم عن الأسود بن شيبان حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف : كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتبه لقاءه فلقيته فقلت : يا أبا ذر بلغني أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم [إن الله لا يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة] ؟ فقال : أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ثلاثا ؟ قلت : من الثلاثة الذين يبغض الله ﷻ ؟ قال : المختال الفخور أوليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ثم قرأ الآية { إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا } وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب بن خالد عن أبي تميمة عن رجل من بلهجم قال : قلت : يا رسول الله ﷺ أوصني قال [إياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة]